المحاضرة2: المدارس التاريخية الغربية (النشأة والتطور)

تقديم:

عرف الغرب المسيحي منذ عصر النهضة الأوربية وحتى فترات متأخرة تبلور العديد من المدارس والتيارات الفكرية التاريخية التي حاولت إعطاء قراءة لتطور علم التاريخ(مناهجه وكيفية تدوين الحدث التاريخي) من منطلقات هي الإنسان- العقل- المنهجية- المادة، ونجد في هذا الصدد المدارس التالية:

أولا: المدرسة الإنسانوية:

1/ النشأة والمنهج:

مصطلح «الإنسانويّة» مشتق من المفهوم اللاتينيّ humanitas والذي يعني (الطبيعة الإنسانيّة، الحضارة والطيبة)، وكلمة إنساني Humanist مشتقة من المصطلح الإيطالي umanista العائد للقرن 15 ويعني المعلم أو الباحث العلمي في الأدب اليوناني واللاتيني الكلاسيكي والفلسفة الأخلاقية، وقد دخل المصطلح إلى الإنجليزيّة في القرن التاسع عشر؛ ويتفق المؤرخون أن المصطلح يسبق التعريفات التي ظهرت لوصفه والتي تشمل معانٍ عدة، أهمها إظهار الاحترام والإحسان تجاه البشر وتقدير قيمة التعلُّم البشريّ؛ **والإنسانوية** بالإنجليزية Humanism:"هي مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان سواء كان فردًا أو جماعة، وتفضل عمومًا التفكير والاستدلال العقلانية التجريبية؛ وتشير الإنسانوية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية إلى اتجاه يؤكد بشكل خاص على فكرة الطبيعة البشرية »؛و أثناء فترة عصر النهضة في أوروبا الغربية ظهرت فائدة اكتساب التعلم من مصادر كلاسيكية تعود لما قبل المسيحية مثل العلوم السياسية والخطابة بما في ذلك النهج إلى العلوم الإنسانوية، وقد صاغ مصطلحَ الإنسانويّة فردريك نايتهامر Friedrich Niethammer في بداية القرن التاسع عشر للإشارة إلى نظام تعليميّ مبنيّ على دراسة الأدب الكلاسيكيّ (الإنسانويّة الكلاسيكيّة). وبشكل عام يشير المصطلح إلى وجهةِ نظرٍ تؤكد على مفهوم حريّة الإنسان وتقدّمه. وتنظر إليه باعتباره المسؤول الوحيد عن تطوير وترقية الأفراد، وتؤكد الاهتمام بعلاقة الإنسان بالعالم.

ومنهج هذه المدرسة قائم على اهتمام إنساني بالأخلاق والسياسة وليس فيه براغماتية، مع توسيع مجال التفكير القائم على الشك وتطبيقه على جميع الحقول المعرفية من بينها معرفة الماضي البشري؛ مع السعي إلى ضرورة العودة إلى التراث الماضي اليوناني والروماني كمرجعية تاريخية لاستخلاص القواعد والعبر؛ واستنطاق مصادر جديدة للحدث التاريخي من مخطوطات خزائن الكنائس والمسكوكات والنقائش؛ وتوسيع فكر ترجمة الكتب للانفتاح على آفاق البحث الإنساني خارج دائرة جغرافيا أوربا بعدما نجحت الكشوفات الجغرافية في التعريف بجغرافيا العالم.

2/ أبرز رواد المدرسة الإنسانوية:

-**مارثن لوثر**: صاحب السبق في هذا التحول الثقافي وصحبته ثورة دينية اصطلح على تسميتها"البروتستانتية"وسعى إلى نزع القيود عن العلوم وسعى لترجمة الكتب المقدسة التي مُنع تداولها من قبل الكنيسة حيث أمكن للقارئ الاطلاع عليها بكل اللغات، مغيرا مفهوم الإنسان المسيحي وتحكم الكنيسة في أفكاره، فصار حر الإرادة قادر على مسايرة الحياة بنفسه.

-**الإيطالي لورينزو فالا(1407-1457م)**: مصلح ومعلم محقق انتصار الإنسانية على الأرثودكسية والتقاليد.

-**الفيلسوف جان بودين(1530-1596م)**: صاحب التأليف المشهور في فلسفة التاريخ المسمى"منهج لتيسير فهم التاريخ".

ثانيا: المدرسة العقلانية:

1/ النشأة والمنهج:

العقلانية هي النظرة المعرفية التي تعد المنطق (العقل) مصدرًا رئيسيًا واختبارًا للمعرفة وهي «وجهة نظر تميل إلى اعتبار المنطق (العقل) مصدرًا للمعرفة أو التبرير» ، وتعرّف العقلانية أيضا على أنها "المنهجية أو النظرية التي يكون معيار الحقيقة فيها فكريًا واستنباطيًا وليس حسيًا"؛ في الماضي وعلى وجه الخصوص في القرنين السابع عشر والثامن عشر، استُخدِم مصطلح عقلاني للإشارة إلى المفكرين الأحرار ذوي النظرة المعارضة لتدخل القساوسة والدين، خاصة أنّ العقلانيين أكدوا على أن هناك بعض المبادئ المنطقية الموجودة في المنطق والرياضيات والأخلاقيات وما وراء الطبيعة تكون صحيحة أساسًا بالعقل لتأكيد بعض الحقائق؛ بمعنى آخر هناك طرق هامة نكسب من خلالها مفاهيمنا ومعرفتنا بشكل مستقل عن التجربة الحسية؛ وبالنسبة لمنهج هذه المدرسة التاريخي فقد لجأت إلى وضع تحقيب زمني جديد للتاريخ بعيد عن تقسيم الكنيسة القائم على أن التاريخ قسمان: أولهما وثني والآخر مسيحي، أمّا التاريخ العقلي فأنشأ ثلاث تقسيمات للتاريخ بقيت مستمرة لوقتنا الحالي هي: التاريخ القديم- التاريخ الوسيط- التاريخ الحديث ونظرتهم للحدث التاريخي قائمة على فكر نقدي وتوجهوا نحو التاريخ الشامل؛ وفيه يهتم المؤرخ بجوانب مختلفة خلال عملية تدوينه للأحداث ومتعلقة بالإنسان كمحور للتاريخ منها السياسية والثقافية والاجتماعية.

2/ أبرز رواد المدرسة العقلانية:

-الفيلسوف الالماني كانط(1724-1804):مثل عصر الانوار في أوربا، ودعى إلى استخدام الإنسان العقل بنفسه من دون تدخل للغير

-المفكر والفيلسوف الفرنسي فرانسوا ماري أرويه الشهيرب"فولتير(1694-1778):عرف بأنه رمز الحرية والتنوير وصاحب فكرة العداء للتعصب للدين والفكر.

-المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون(1737-1794م): صاحب الاهتمام بالكتابات ذات الطابع الموضوعي والمنصف، ومن مؤلفاته التاريخية"اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها".

ثالثا: المدرسة الماركسية(المادية):

- النشأة والمنهج وأبرز الرواد: الماركسية هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وهو فيلسوف من أصول ألمانية من القرن التاسع عشر(1818-1883م) وكان عالم اقتصاد وصحفي؛ وقد شاركه رفيقه فريدريك إنجلز(1820-1895م) في وضع الأسس واللبنات الأولى للنظرية الماركسية، ومن بعدهم بدأ المفكرون في الإضافة والتطوير للنظرية بالاستناد إلى الأسس التي أرسى دعائمها ماركس وإنجلز، وقد سعت الماركسية إلى شرح الظواهر الاجتماعية داخل أي مجتمع من خلال تحليل الظروف المادية والأنشطة الاقتصادية المطلوبة لتلبية الاحتياجات المادية للإنسان؛ أي يفترض أن شكل التنظيم الاقتصادي أو نمط الإنتاج يؤثر على جميع الظواهر الاجتماعية الأخرى بما في ذلك العلاقات الاجتماعية الأوسع، كما وانبنى التفسير الماركسي للتاريخ على أساس مادي بأن الاقتصاد هو المحرك الأساسي في العلاقات الاجتماعية؛ وأنّ التاريخ هو صراع الطبقات بفكر اقتصادي والعامل الاقتصادي هو أداة لصناعة الحدث التاريخي، وأنّ التحقيب التاريخي للإنسان يعتمد على أنماط الإنتاج.

رابعا: المدرسة البنيوية:

1/-النشأة والمنهج: البنيوية هي تيار فكري ونهج ميثودلوجي مهتم في المقام الأول بالعلوم الاجتماعية، التي تفسر عناصر الثقافة الإنسانية عن طريق علاقتها مع نظام أوسع معين؛ وتهدف البنيوية إلى كشف الأنماط البنيوية التي تكمن وراء جميع الأشياء التي يفعلها الإنسان ويفكر فيها ويدركها ويحس بها.

ويمكن تعريف البنيوية وفقًا لتلخيص الفيلسوف سيمون بلاكبيرن أنها:"الاعتقاد بأن ظواهر الحياة الإنسانية غير مفهومة إلا من خلال علاقاتها المتبادلة تشكل هذه العلاقات بنية، إذ توجد قوانين ثابتة للبنية المجردة وراء الاختلافات المحلية في الظواهر السطحية".

تطورت البنيوية في أوروبا في أوائل القرن العشرين، بشكل رئيسي في فرنسا؛ وكان عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي ستروس في طليعة الباحثين الذين أثاروا اهتمامًا واسع النطاق في البنيوية ، وبدأ منذ ذلك الحين تطبيق النمط البنيوي للاستدلال على نطاق متنوع من المجالات، بما في ذلك علم الإنسان، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والنقد الأدبي والاقتصاد والهندسة المعمارية.

وترى المدرسة البنيوية أن في الحدث التاريخي يتم التفريق بين الإطار العام والمضمون الداخلي لأنه مرتبط بالزمن والمجتمعات التي يعيش فيها، وركزت المدرسة البنيوية فكرها على أن التوجه نحو المستقبل لا يمر إلاّ بالماضي؛ وأنّ الوصول إلى الغد لا يتم إلا بالعودة إلى الأمس؛ فالبذور القديمة دائمة الحضور ننميها فقط بطريقة جديدة.

2/ ابرز رواد المدرسة البنيوية:

–كلود ليفي ستروس(1908–2009):عالم اجتماع وأنتروبولوجي فرنسي، من مؤلفاته: البنى الأولية للقرابة وكتاب"الأنتروبولوجيا البنيوية"في جزئين.

–رولان بارت(1915–1980): فيلسوف فرنسي، ناقد أدبي ومنظر اجتماعي، اشتهر بارت بمجموعة مقالاته لعام 1957 الأساطير، والتي تضمنت تأملات في الثقافة الشعبية، ومقاله عام 1967/1968 "**موت المؤلف**"، الذي انتقد فيه الأساليب التقليدية في النقد الأدبي، وخلال مسيرته الأكاديمية كان مرتبطًا بشكل أساسي بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية.

خامسا: المدرسة الوضعية:

1/ النشأة والمنهج: الفلسفة الوضعية بالإنجليزية (Positivism)هي إحدى فلسفات العلوم التي تستند إلى رأي يقول أنه في مجال العلوم الاجتماعية كما في العلوم الطبيعية فإن المعرفة الحقيقية هي المعرفة والبيانات المستمدة من التجربة الحسية، والمعالجات المنطقية والرياضية لمثل هذه البيانات والتي تعتمد على الظواهر الطبيعية الحسية وخصائصها والعلاقات بينهم والتي يمكن التحقق منها من خلال الأبحاث والأدلة التجريبية؛ وضع الفيلسوف والعالم الاجتماعي الفرنسي الشهير أوغست كونت هذا المصطلح في القرن التاسع عشر وهو يعتقد بأن العالم سيصل الى مرحلة من الفكر والثقافة تعتمد القضايا العلمية التي أثبتت بالحس والخبرة الحسية أوبالقطعية والوضعية(positive) ؛ وتهتم هذه المدرسة بإجراء الأبحاث الكمية وتعتمد عادة في دراساتها للظواهر الاجتماعية على تصميم استبيانات بحثية بهدف إجراء البحث على عينة كبيرة من الناس واستخراج النتائج بصورة سريعة يمكن تعميمها على قطاعات أوسع من المجتمع.

وكانت منطلقات الفكر الوضعي بدأت من النظرة القديمة للإنسان وارتباطه بتفسيرات التاريخ لتتحول إلى نظرية تطورية جديدة ذات غايات اجتماعية تعتبر العامل الثقافي محركا للتاريخ البشري، ومن أفكار المدرسة الوضعية أن يكون مصدر الحدث وتدوينه الوثيقة المكتوبة، مع التنظيم والتدوين الكرونولوجي السردي للأحداث التاريخية.

2/ أبرز رواد المدرسة الوضعية:

–أوغست كونت(1798–1857م) عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، وهو من أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب والمؤسس للفلسفة الوضعية.

–إيميل دوركايم(1858–1917م): فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي .أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره «في تقسيم العمل الاجتماعي» (عام 1893)، و «قواعد المنهج السوسيولوجي» (عام 1895)؛ أسس رسميًا الانضباط الأكاديمي لعلم الاجتماع –مع دو بويز وكارل ماركس وماكس فيبر؛ ويُستشهد به عادة باعتباره المؤسس الرئيسي للعلوم الاجتماعية الحديثة.

سادسا: مدرسة الحوليات:

1/ النشأة والمنهج: مدرسة الحوليات هي مجموعة من المؤرخين المرتبطين بنمط من التأريخ طوره المؤرخون الفرنسيون في القرن العشرين لتأكيد التاريخ الاجتماعي طويل الأمد. سُميت باسم مجلتها العلمية «حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي»سنة1929م، التي لا تزال المصدر الرئيسي للمنح الدراسية إلى جانب العديد من الكتب والدراسات؛ وقد كانت المدرسة ذات تأثير كبير خاصةً فيما يتعلق باستخدام المؤرخين للأساليب العلمية الاجتماعية، مع التركيز على الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية بدلًا من الموضوعات السياسية أو الدبلوماسية؛ تتعامل المدرسة في المقام الأول مع أواخر العصور الوسطى وأوروبا الحديثة المبكرة (قبل الثورة الفرنسية) مع القليل من التركيز على موضوعات لاحقة؛ لقد سيطرت المدرسة على التاريخ الاجتماعي الفرنسي وأثرت في التاريخ في أوروبا وأمريكا اللاتينية؛ ومن مميزات الكتابة عند مدرسة الحوليات هو الاهتمام بالتاريخ من خلال ربطه بالاقتصاد وحياة الجماعات والسياسة والدين، مع انفتاح المنهج التاريخي على مناهج أخرى كمنهج علم الاجتماع وحقول المعرفة الإنسانية وإلغاء كل مايقف حاجزا بين التاريخ والعلوم الاجتماعية والاقتصاد، وهو ما أدى إلى انبثاق جملة من التخصصات مثل: الديموغرافية التاريخية/التاريخ الاقتصادي/ التاريخ الاجتماعي.

ومن بين القادة البارزين مؤسسيها لوسيان فيبر (1886-1956)، وهنري هاوزر (1866-1946)، ومارك بلوخ (1886-1944). قاد الجيل الثاني فرناند بروديل (1902-1985).

2/ رواد مدرسة الحوليات:

-مارك بلوخ(1886-1944):مؤرخ فرنسيً للعصور الوسطى في فرنسا، ومؤسس مدرسة الحوليات في التاريخ المؤثرة للغاية في التاريخ الاجتماعي الفرنسي.

- فرناند بروديل (1902-1985): مؤرخ فرنسي ومن مؤسسي مدرسة الحوليات الحديثة. ركزت دراساته على ثلاثة مشاريع رئيسية، تمثل كل منها عدة عقود من الدراسة المكثفة مثل: البحر الأبيض المتوسط (1949-1923) وأيضا: الحضارة والرأسمالية(1979-1955)